# تأثير التكتل الأوروبي والدولي على العلاقات الجزائرية والفرنسية في عهد الدايات 1671–1830م

The influence of the international and European bloc on Algerian_French relations during Deys rule1871-1830th

بوعلام بن معمر *

جامعة علي لونيسي – البليدة02-

مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ – جامعة الجزائر 02 -

boualembenmammar1@gmail.com

نور الدين إيلال

جامعة علي لونيسي – البليدة02-

مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ – جامعة الجزائر 02 -

illal.nourrdine@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/18 تاريخ القبول 2021/07/05 تاريخ النشر 2021/12/31

**ملخص:**

فرضت الجزائر في العهد العثماني قوتها على البحر الأبيض المتوسط ما جعلها مهددة بالغارات البحرية والمؤامرات الدولية، وبحكم ذلك دخلت الجزائر في علاقاتها الخارجية مع دول أوروبا خاصة مرحلة حاسمة في عهد الدايات، حيث تميزت علاقاتها بين السلم والعداء بالمصلحة المشتركة والسياسة المتغيرة وعلى رأسها فرنسا التي كان لها الأثر الكبير في تغيير سياسة موازين القوى الدولية ومواقف الدول الأوروبية من العلاقة الخارجية

* المؤلف المراسل

للجزائر في إطار سياسة التكتلات الدولية و الأوروبية حول مناطق النفوذ، فكان مؤتمر فيينا 1815م فرصة ومشروعا لتوحيد صفوف دول أوروبا ضد الجزائر، وكانت فرنسا في موقع سمح لها باستغلال فرصة تنفيذ مخططها لاحتلال الجزائر بتأييد أوروبي.

**الكلمات المفتاحية:** التكتل؛ فرنسا؛ الجزائر؛ الدول الأوروبية؛ مؤتمر فيينا؛ العلاقات؛ المواقف.

**Abstract:**

During the Ottoman rule, Algeria revealed a domination on the Mediterranean put it under naval raids and international conspiracies. This prompted the Algerian State entering an unenviable stage in its external relationship with Europ, particularly during the Deys rule, its relations mixed with friendship, enmity and the primacy of the common interests and exactly with France. The latter dominated the common international relations especially the Algeria_Europ relationship. The Vienna conference in 1815 was opportunity to rearrange the European House against Algeria, this lead to the France occupation to Algeria with the European support.

**key words:** Alliance; France; Algeria; European countries; Vienna conference; relations; Attitudes.

**مقدّمة:**

تمكّنت الجزائر طيلة قرون من الحكم العثماني من فرض هيمنتها على البحر الأبيض المتوسط وفرض قوانين الملاحة البحرية على الدول الأوروبية هذا ما جعلها عرضة للغارات البحرية المستمرة منذ القرن السادس عشر إلى غاية آخر حملة فرنسية على الجزائر التي توجت باحتلالها، ومهما يكن فإن علاقات الجزائر الخارجية مع الدول الأوروبية تراوحت بين العداء بشن غارات بحرية عليها قصد إضعاف أسطولها البحري وبين السلم بعقد معاهدات سلام قصد الحصول على امتيازات تخدم مصالحها، فكانت فرنسا إحدى الدول التي كان لها الحظ الأوفر في علاقات الجزائر الخارجية بمنحها امتيازات تجارية وقد أدى هذا إلى تسابق وتنافس الدول الأوروبية لمزاحمة فرنسا في هذه الامتيازات في المنطقة التي تعد مركزا استراتيجيا للهيمنة على التجارة الدولية والملاحة البحرية ومناطق النفوذ في

البحر الأبيض المتوسط، ما جعل فرنسا تدخل في موقف المعادي لهذه الدول وعلى رأسها إنجلترا وهولندا التي تكتلت ضد مصالح فرنسا وفق قاعدة عدو عدوي صديقي، إلا أن سياسة العلاقات الدولية المبنية على المصلحة المشتركة والسياسة المتغيرة التي تجسدت في سياسة التكتلات والتحالفات الأوروبية جعل فرنسا تغير من مواقفها تجاه علاقاتها مع الجزائر خاصة بعد الثورة الفرنسية لتنفيذ مخططها الاستعماري والتوسعي في شمال إفريقيا والتخلص من الهيمنة الجزائرية على البحر الأبيض المتوسط، فوجدت الدول الأوروبية خاصة والولايات المتحدة الامريكية عامة بعد انهزام "نابليون بونابرت" في حروبه مع دول أوربا سنة 1815م فرصة في مؤتمر فيينا وبمبادرة من انجلترا كمشروع يوحد صفوف الدول الأوروبية للقضاء على قوة الجزائر البحرية، وبما أن فرنسا كانت مواقفها متناقضة تجاه مصالحها مع الدول الأوروبية خوفا على مصالحها في الجزائر، إلا انها وجدت نفسها في موقع يسمح لها بتنفيذ مخططها الاستعماري الذي جاء به مؤتمر فيينا سنة1815م بحكم أنها الأقرب في علاقاها مع الجزائر، فاستطاعت تحويل التحالف الأوروبي الى صالحها سياسيا واقتصاديا بعد كسب التعاطف والتأييد الدولي ضد الجزائر لتبرر احتلالها المشروع بالنسبة لها باسم الدول الأوروبية وتسعى هذه الدراسة للإجابة عن تساؤل الدراسة الرئيس حول **مدى فهم ثوابت ومتغيرات المصلحة المشتركة والسياسة المتغيرة في موازين القوى الأوروبية الدولية و تأثيرها على العلاقات الجزائرية والفرنسية في عهد الدايات،** وتتعرض هذه الدراسة لأسئلة فرعية لطرح الجوانب المختلفة لموضوع الدراسة وهي كالآتي:

– كيف كانت العلاقات الأوروبية والدولية مع فرنسا والجزائر؟ وما هو أثرها على العلاقات الخارجية للجزائر قبل مؤتمر فيينا سنة 1815م؟

– إلى أي مدى ساهمت المصالح المشتركة في تغيير المواقف الفرنسية تجاه الدول الأوروبية وفي العلاقات الخارجية للجزائر؟

– ما هو دور مؤتمر فيينا في توحيد القوى الأوروبية ضد الجزائر؟ وما هو موقف فرنسا من ذلك؟

وتتجلى أهمية وأهداف هذه الدراسة فيما يلي:

– إبراز دور التحالفات الأوروبية في التأثير على سياسة العلاقات الخارجية لفرنسا والجزائر

–تأكيد حقيقة مؤتمر فيينا ودوره في توحيد صفوف الدول الأوروبية ضد الجزائر ممهدا ومؤيدا لبداية الفكر الاستعماري الأوروبي في شمال افريقيا بدايةً من الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة1830م، وللوصول إلى ذلك اقتضت منا هذه الدراسة الخوض في المنهج التاريخي التحليلي القائم على سرد المادة التاريخية بناءها، وتحليلها تحليلا تاريخيا وكرونولوجيا للأحداث.

**أولا– موقف الدول الأوروبية من العلاقات الفرنسية والجزائرية قبل مؤتمر فيينا:**

تميّزت العلاقات بين الدول الأوروبية قبل انعقاد مؤتمر فيينا سنة 1815م بسياسة المصالح المشتركة ولم تكن قراراتها موحدة فكل دولة كانت تبحث عن مصالحها الخاصة ومناطق نفوذ تجارية تهيمن بها على منطقة البحر الأبيض المتوسط، ولعلّ الجزائر كانت من ضمن اهتمام سياسة الدول الأوروبية للتخلص من هيمنتها على البحر الأبيض المتوسط طيلة العهد العثماني وتحطيم أسطولها البحري، ولكن تعارض مصالح فرنسا مع الدول الأوروبية في تسابقها وتنافسها حول الحصول على امتيازات من الجزائر، وبين عقد معاهدات سلام معها وبين شن غارات عليها جعل تأثير علاقات الجزائر الخارجية وعلاقات فرنسا مع الدول الأوروبية في موازين القوى الدولية يعرقل توحيد صفوف جهود الدول الأوروبية للقضاء على هيمنة الجزائر وقوتها إلى غاية مؤتمر فيينا 1815م.

**أ– المصلحة المشتركة والسياسة المتغيرة في سياسة التكتلات الأوروبية:**

يذكر المؤرخين أن الغارات البحرية على الشواطئ الأوروبية الآتية من شمال إفريقيا وعلى الشواطئ الإفريقية الآتية من أوروبا لم تنقطع منذ قرون وكان ضحايا هذه الغارات

هي فرنسا والبرتغال وإسبانيا وفي الجهة المقابلة للبحر الأبيض المتوسط هي المغرب والجزائر وتونس وطرابلس[1]،وبالتالي فإن الغارات والاعتداءات الأوروبية كانت مكثفة فمن 1622م تاريخ أول قصف إنجليزي إلى 1830م تعرضت الجزائر إلى عشرين هجوما من طرف الإنجليز والفرنسيين والإسبان وحتى الدانماركيين والأمريكيين[2] وعلى سبيل المثال نذكر الحملة الفرنسية التي قادها الأميرال "دوكين" سنة 1684م[3] والجنرال "ديستري" سنة 1688م[4]، والحملة الإسبانية سنة 1775م، وكان لهذه الغارات أثر كبير في ضعف نشاط وعائدات القرصنة البحرية الجزائرية التي أصبحت أقل مردودا في الوقت الذي زادت فيه المؤامرات الأوروبية[5] على الجزائر، إلا أن هذه الغارات بدأت تخف منذ القرن الثامن عشر نظرا لتزايد قوة الأوربيين واستعدادهم للانتقال من الغارات إلى الحرب الحاسمة[6].

لم تكن الدول الأوروبية على وفاق في سياسة التحالفات فالتكتل الهولندي الإنجليزي كان ضد مصالح فرنسا ما جعل هذه الأخيرة تستنجد بالجزائر، ففي سنة 1689م استنجد الملك الفرنسي" لويس الرابع عشر" بالداي "شعبان" ليساعده في حروبه[7]،وفي الجهة المقابلة فقد أكدّ القنصل الإنجليزي لحكومته بعد سنة 1690م بأن حوالي عشرة آلاف دولار هولندي ستكون كافية للحصول على قطيعة جديدة بين فرنسا والجزائر، إلا أن الطرفان لم ينجحا في الحصول على التدخل الجزائري في حروبهما[8]،كما فهم الفرنسيين أن السلام بين الجزائر وهولندا سيضاعف من نشاط التنافس الهولندي في ميدان التجارة وقد استنكر القنصل الفرنسي والإنجليزي كلاهما معاهدة السلم الهولندية مع الجزائر واعتبراها أنها مخلة بالشرف الهولندي كونها تمون الجزائر بالمعدات الحربية لمهاجمة الدول التجارية المسيحية الأخرى[9].

ولعلّ الصلح الذي وقع في سنة 1100هـ/1689م بين الجزائر وفرنسا في عهد الداي" شعبان" وتم الاتفاق على شروطه، وعلى إثره طلبت فرنسا من الجزائر مساندتها

في حروبها ضد إنجلترا وهولندا، وبما أن الدول الأوروبية أعلنت الحرب على فرنسا فإن إنجلترا سعت بواسطة قنصلها قدر المستطاع لإفشال طلب فرنسا، حيث استطاع القنصل الانجليزي أن يؤثر في الداي الذي رفض مساعدة فرنسا واكتفى بقطع علاقاته مع هولندا[10]، ومهما يكن فإن موقف الجزائر كان محايدا من الصراع الأوروبي الفرنسي رغم إلحاح وإغراءات الدول الأوروبية على الجزائر للوقوف ضد فرنسا، وفي نفس الوقت سعت الجزائر أن لا تغض الطرف عن أي ضرر يحيق بمصالح فرنسا في الجزائر[11]،كما أن إنجلترا سعت هي الأخرى باستغلال فرصة تدهور العلاقات بين الجزائر وفرنسا خاصة عندما استدعى الداي القسيس "لوفاشي" وأشار له إلى الأسطول الذي جهزه حديثا قائلا:" انتهى عهد السلم مع بلادك وويل لسيدك! (لويس الرابع عشر)" [12]، وبعد هذا التوتر استغلت إنجلترا فرصة الحصول على معاهدة السلم مع الجزائر التي وصفها القنصل "لوفاشي" أنها مخزية لإنجلترا[13]،وعلى ما يبدو أن إنجلترا وفرنسا قد حافظتا على السلام مع الجزائر لأنهما كانا يريدان سحق منافسيهم في ميدان التجارة الدولية للبحر الأبيض المتوسط، ولعلّ هذا هو السبب الذي جعل كل من هذين الدولتين ترفضان الاشتراك مع الدول الأوروبية في القضاء على أعشاش القراصنة في سواحل شمال إفريقيا، وربما يعود السبب أن الأساطيل الفرنسية والإنجليزية كانت منهكة في القرن الثامن عشر نظرا لكثرة الحروب الواقعة ضد بعضهما أو لأنهما كانتا تحضّران لحرب جديدة فلويس الرابع عشر كان يفضل السلام مع الجزائر كلما كان هو في حرب وكذلك كان حلفاؤه، ومع هذا لا يعني أنهم لم يفكروا في تجهيز حملات عسكرية ضد الجزائر غير أنها كانت حسب الظروف المواتية[14]، وتؤكد إحدى الرسائل التي وجهها القنصل الفرنسي بالجزائر "ديرون" إلى "بونشارتران" وزير البحرية الفرنسية سنة1705م يحث فيها حكومته بدفع الهدايا لحكام الجزائر ومنافسة إنجلترا التي تدفع أكثر مما يدفعه الفرنسيين مما حقق لها نجاحا مصالح كبيرة في الجزائر[15]، وعلى ما يبدو أن فرنسا غيّرت من سياستها تجاه الجزائر لمجاملة

حكام الجزائر بسبب اقتراب موعد عقد مؤتمر أوتراخت(1713-1715م) الذي سينهي الحرب الوراثية الاسبانية، وبالتالي سيمنح إنجلترا قاعدتي جبل طارق ومينورقة، ولهذا توجب على فرنسا الحفاظ على علاقاتها مع الجزائر للتقليل من التأثير الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط[16].

وفي عهد الداي" محمد بكير باشا" سعت الجزائر لعقد معاهدات صداقة وسلام وتحالف مع الدول الأوروبية، حيث كان يسعى لتفادي ضعف الأسطول البحري كونه كان يعلم أن نشاط رياس البحر الجزائريين ضد البواخر الأوروبية سيؤثر على ذلك، ومن جهة أخرى فإن الدول الأوروبية هي الأخرى ستسعى لوقف حملات رياس البحر الجزائريين[17]، ونفس الاستراتيجية نفذها الداي "عثمان باشا" فقد سعى لحفظ السلم مع فرنسا وإنجلترا وغيرها من الدول الأوروبية، إلا أن هذه الاستراتيجية لم تكن ناجحة لأنها قلّصت موارد الخزينة هذا ما جعل الداي يرفع الضرائب والإتاوات على الدانمارك والسويد وهولندا والبندقية ما جعل هذه الدول تدخل في مناوشات مع الجزائر للتخلص من القرصنة التي يمارسها حسبهم رياس البحر الجزائريين[18]، ومهما يكن فإن العلاقات الخارجية للجزائر فرضت بعض التوازنات بين المصالح الفرنسية والإنجليزية وخاصة عند ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كأمة مستقلة استغلتها الجزائر في لعبة موازين القوى وسيرا على سياستها التقليدية تجاه أوروبا "فرق وازدهر"[19]، فبعد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776م قرّر مجلس الشيوخ الأمريكي اقتراحه معاهدة الصداقة وسلام مع الجزائر[20].

**ب – موازين القوى الأوروبية في العلاقات الخارجية للجزائر:**

ويروي الملك الفرنسي" لويس الرابع عشر" أنه صرّح مرة بأنه لو لم تكن هناك دولة الجزائر لعمل وأبدع على إيجاد واحدة، كما هاجم اللورد "شيفيلد" سنة 1783م اقتراحات "ويليام بيت" الذي كان يسعى لإيجاد تجارة حرة بين الولايات المتحدة

الأمريكية وإنجلترا وأكد على أهمية الجزائر في موازين القوى البحرية متهما فرنسا على أنها تريد خلق جو من السلام المسلح في البحر، ويعتبر وجود الجزائر في هذا السلم خطير جدا وأوضح أنه ليس بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تتحدى دول شمال إفريقيا التي تطمح الدول الكبرى في الاستفادة من احتكار الملاحة والاستفادة من البحارة الجزائريين[21].

وحسب ما يذكر "كاثكارت" أن العلاقات الفرنسية الأمريكية لم تكن جيدة بسبب تخوف فرنسا من ارتباط علاقات إنجليزية أمريكية قد لا يخدم مصالحها في دول شمال إفريقيا[22]، فعلى سبيل المثال راسل المفوضون الأمريكيون في 28 أوت 1778م بباريس وزير الشؤون الخارجية الكونت "دي فيرجين" يطلبون منه وساطة فرنسا لعقد معاهدة تجارية بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط، وما كان لإجابة الكونت "دي فيرجين" أنه تحفظ عن الإجابة كون هذا الطلب لا يخدم فرنسا بالدرجة الأولى وقد وعدهم أن سيبذل قصارى جهده في ذلك[23]، وهذا ما صرّح به المستر "مونرو" في سنة 1795م بقوله:" بأننا نفقد كل يوم شيئا من نفوذنا في فرنسا فإن الحكومة الفرنسية لم تعد تصدق تصريحاتنا الودية تجاهها، وأنّ هذه الحالة تدعو إلى التخوف من خطورة النتائج التي ستترتب على التصديق على المعاهدة الأمريكية البريطانية ، وأن هذا التخوف لا ينقص من حدته إلا المعارضة التي لقيتها هذه المعاهدة من الشعب الأمريكي"[24] ، لذلك حسب "كاثكرت" فإنه يستبعد مساعدة فرنسا للولايات المتحدة الأمريكية في مفاوضات مع الجزائر رغم وجود معاهدة بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية سنة 1778م[25] ، وفي هذا الشأن كتب المبعوث الأمريكي "أوبراين" إلى الداي سنة 1791م يقول:" إن شؤون أعدائنا الثلاثة :الفرنسيين والإسبان والإنجليز في الجزائر مضطربة وبذلك تضعضع نفوذهم" وكتب أيضا" إن فرنسا كادت تفقد مؤخرا معاهداتها

مع الجزائر كما أن شؤون بريطانيا في الجزائر مضطربة للغاية وأما إسبانيا فستواجهها صعوبات كبيرة في المحافظة على المعاهدة التي عقدتها مع الجزائر سنة 1786"[26].

ولذلك فإن فرنسا قد سعت بكل جهودها أن تمنع أي علاقة تعقدها الجزائر مع الدول الأوروبية، ففي سنة 15 سبتمبر 1791م أرسل القنصل العام في الجزائر "فالير" إلى حكومته في باريس تقرير عن المعاهدة الجزائرية الإسبانية يتأسف فيها عن نتائج وآثار هذه المعاهدة على فرنسا خاصة فيما يتعلق بشراء القمح الجزائري في شرق البلاد تخوفا من ارتفاع سعره بالتنافس مع إسبانيا[27]، وسيسعى الفرنسيين إلى طرح فكرة تعاون فرنسا مع إسبانيا لمحاربة البحارة الجزائريين ولكن الفكرة تم رفضها لتعارض المصالح بين الطرفين فالإسبان يرغبون في القضاء نهائيا على جماعة البحارة الجزائريين الذين يمثلون حسبهم عش القراصنة، بينما الفرنسيين كانوا يقرون خلال القرن الثامن عشر أن القضاء على البحارة الجزائريين سيحرر السفن الإسبانية من تهديد البحرية الجزائرية وسيخلق منافسا خطيرا للفرنسيين[28]، ونفس الأمر بالنسبة لإنجلترا فإنها لم تكن لها مصلحة في تحسّن العلاقات الفرنسية الجزائرية فعندما فشلت في منع حصول فرنسا على القمح من الجزائر كلفت قنصلها بمهمة في الجزائر يسعى من ورائها لقعد صلح بين البرتغال والجزائر لقطع الطريق في مضيق جبل طارق على المراكب الأمريكية التي تساهم في نقل الحبوب إلى الموانئ الفرنسية في مقاطعة بروطانيا وبحر المانش[29]، ولهذا رأت إنجلترا بفضل دبلوماسيتها إلى إقناع الجزائر والبرتغال بعقد هدنة لمدة سنة في عام 1793م وهذا ما سيجعل الأسطول الجزائري يدخل في حرب مع الأسطول الأمريكي، وبالتالي سيعرقل عملية تموين الموانئ الفرنسية[30]،وما إن أدرك قنصل فرنسا هذه المؤامرة سعى هذا الأخير لإبرام معاهدة صلح بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية بعدما كانت ترفضها سابقا وذلك لتكسير مؤامرة الإنجليز التي أدّت في النهاية إلى خرق البرتغال المعاهدة مع الجزائر وأدت إلى توتر العلاقات بين الجزائر والإنجليز[31].

وعلى هذا الأساس فإن إنجلترا انزعجت من الهدنة التي عقدها الداي "مصطفى" مع "نابليون بونابرت" في 19 جويلية 1800م بعد توتر علاقاتهما أثناء حملة "نابليون بونابرت" على مصر سنة 1798م، وقد أدّى هذا الانزعاج إلى مطالبة إنجلترا داي الجزائر من خلال قائد قواتها اللورد "كيت" بإرسال رسالة شديدة اللهجة تعبّر فيها عن اندهاشها من استقبال الجزائر لمبعوث فرنسا هذه الأخيرة التي تناصب العداء للمسلمين، وطالبت إنجلترا من خلال مبعوثها إلغاء هذه الهدنة وقد كان رد الداي على مبعوث إنجلترا بأنه سيد في بلاده ويحكم في الجزائر تماما كما هو شأن "جورج الثالث" في إنجلترا، وقد كثفّت إنجلترا جهودها بمنع أي تقارب فرنسي جزائري من خلال التأثير على السلطان العثماني باتخاذ إجراءات قمعية ضد الداي والرضوخ للأوامر السلطانية بإعلان الحرب على فرنسا[32]،ومهما يكن فإن فرنسا تخوفت من استغلال إنجلترا حالة الضعف الفرنسي خاصة بعد هزيمتها أمام إنجلترا في معركة الطرف الأغر في 21 أكتوبر1805م لتستحوذ على مكتسباتها في الجزائر، فقد سارع القنصل الفرنسي "ديبوا تانفيل" بمناسبة حادثة مقتل الداي "مصطفى" ومناسبة تولي الداي "أحمد باشا" منصب الداي في 30 أوت1805م لإحياء ارتباط الجانبين بالمعاهدات الثنائية القديمة وتثبيتها في شهر ديسمبر 1805م، ولعلّ عودة هذه العلاقات كانت مجرد مناورة من فرنسا استهدفت محاولة إيقاف الجزائر للارتماء في أحضان إنجلترا[33].

**ثانيا–التحالف الأوروبي ضد الجزائر وموقف فرنسا في مؤتمر فينا:**

رغم هجومات إسبانيا والدنمارك سنوات 1773م وم1783و1784م على الجزائر إلا أنها باءت بالفشل، ثم اهتم بها "نابليون بونابرت" وأعد عدته لكن الظروف لم تسمح له بأن ينفذ مشروعه لاحتلال الجزائر إثر هزيمته أمام الدول الأوروبية في معركة واترلو سنة 1815م، فخلفه في المهمة أعداؤه الإنجليز سنة 1816م بقيادة اللورد "إكسموث" ففشلوا في ذلك وأعدو الكرة سنة 1824م إلا أن خيبة الفشل تكررت[34]، وهذا ما يبين

في الحقيقة أن إسبانيا ليست هي فقط من كانت تسعى للسيطرة والهيمنة على الجزائر في الضفة الغربية لحوض البحر الابيض المتوسط وإنما كل الدول الأوروبية كانت تسعى لذلك[35]، ولهذا الغرض نادى الساسة الأوروبيين بضرورة توحيد الصفوف لمجابهة الحربية الجزائرية ونصح الدوق "دوروشيليو" وزير خارجية فرنسا بضرورة توحيد الصفوف لأنه لا أمل في الاستيلاء على دول شمال إفريقيا إذا ما هاجمت كل دول أوروبا إفريقيا على حدة[36]،وتأسست لهذا الغرض الجمعيات والمؤسسات للعمل على جمع التبرعات إلى غاية 1819م لزيادة قطع أساطيل الدول الأوروبية[37]،وفي هذا الصدد قدم الأميرال "سدناي سميث"(1764-1840م) مذكرة في لندن سنة31 أوت 1814م بعنوان: "مذكرة حول ضرورة اتخاذ الوسائل اللازمة لإيقاف قرصنة دول شمال إفريقيا"، وأرسل هذه المذكرة إلى حكومات الدول الأوروبية يؤكد فيها على ضرورة التحالف البحري الأوروبي والقضاء على القرصنة في شمال إفريقيا وعلى رأسها الجزائر، وقد اعتبرت هذه الأخيرة خطر على أوروبا وتجارتها وهي أسباب مشاكل كل الأوروبيين، ويستلزم معاقبتها وقد ركز الأميرال "سدناي سميث"[38] في مذكرته على إرسال قوة بحرية أوروبية مشتركة ومهاجمة القراصنة والقبض عليهم[39]، وقد قوبلت هذه المذكرة بالقبول لدى الدول الأوربية فظهرت في فرنسا مشاريع بأهمية القضاء على الجزائر ،كما صحب هذه المذكرة مشروع تقدم به الكونت "بولينياك" (1780-1847م) جاء موافقا لما جاء به الأميرال الإنجليزي "سدناي سميث" ورأى أن هذا المشروع يتوافق مع مصلحة فرنسا ويخلصها من عزلتها في البحر الأبيض المتوسط، إلا أن "بولينياك" كان متحفظا بشأن تشكيل حلف أوروبي هذا وأن فرنسا كانت تعتبر أنها الوحيدة المعنية بشن حملة على إيالات شمال إفريقيا وبالأخص الجزائر[40]، إلا أنه لا ننكر أن هدف إنجلترا من مذكرة أفكار "سدناي سميث" كونها تحمل طموحات في إقامة توازن في البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما أبداه وزير خارجية إنجلترا اللورد "كاستليريث" للدبلوماسي الدانماركي "دي برنستورف" في تخوفه من القضاء على

إيالات شمال إفريقيا، وذلك أنه سيؤدي حتما إلى قيام دول متحالفة مع فرنسا في سواحل شمال إفريقيا قد يضر بمصالح إنجلترا التجارية في منطقة القارة الإفريقية، وبالتالي فإنه يحبّذ حل الصراع باستعمال القوة أو فرض دفع مقابل مالي[41].

**ثالثا- موقف الولايات المتحدة الأمريكية من العلاقات الجزائرية والفرنسية بعد مؤتمر فيينا:**

سعت الولايات المتحدة الأمريكية في تكوين تكتل أوروبي ضد الجزائر حيث أرسل الرئيس "جورج واشنطن" مبعوثه إلى قيصرة روسيا "كاثرين" للانضمام إلى الحلف الأوروبي الأمريكي ضد الجزائر، كما نصح "جورج واشنطن" ملك فرنسا " لويس السادس عشر" بغزو الجزائر "الذي سيكون أكبر عملية صليبية تقوم بها فرنسا وستكون الجزائر أرضا خصبة لاستيطان أبنائها "[42]،كما سعى وزير خارجية أمريكا "جيفرسون" إلى تنظيم عملية محاصرة الجزائر واستعان في ذلك على تأييد الكونت "باتيست ديستان" في باريس، كما كانت له مساعي أخرى في هولندا سنة 1791م بتشكيل قوة بحرية هولندية أمريكية مشتركة للهجوم على السواحل الجزائرية إلا أن معظمها باءت بالفشل[43]،ورغم العلاقات الودية التي كانت بين الجزائر والولايات المتحدة الامريكية والتي تعود إلى معاهدة05 سبتمبر 1795م إلا أن هذه الأخيرة لم تحترم تنفيذ بنودها الأمر الذي أدّى إلى توتر العلاقات بين البلدين[44]، ومهما يكن فإن معاهدة السلام كانت انتصارا دبلوماسيا للجزائر حيث أنها استطاعت أن تعزل الولايات المتحدة الأمريكية وتبعدها عن الدول الأوروبية التي شكلت خطرا كبيرا على الإيالة وتبث الرعب في الدول الأوروبية الصغيرة التي كانت ترغب في تكوين حلف ضد الجزائر، أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد اعتبرتها معاهدة مشرفة كونها أنهت الحرب وسمحت بمواصلة السفن التجارية نشاطها التجاري، إلا أن هزيمة "نابليون بونابرت" على يد الحلفاء وتوقيع الصلح بين الولايات المتحدة وإنجلترا في 24 ديسمبر1814م جعل الولايات المتحدة الأمريكية حرة بتجنيد

قواتها ضد الجزائر ولم تعد إنجلترا بحاجة للجزائر[45]، وبعد مؤتمر فيينا استغلت الولايات المتحدة الأمريكية الوضع ورفضت دفع الإتاوات للجزائر وقامت بإرسال أسطول بحري إلى حوض البحر الأبيض المتوسط سنة 1815م لفرض خيارها على الجزائر إما الصلح أو ضمان تجارتها من جميع أنواع القراصنة[46].

ومهما يكن فإن البحرية الجزائرية تعرضت لنكسة على إثر إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الجزائر في ماي 1815م، أين توجه "الرايس حميدو" على متن فرقاطة وثلاثة سفن من نوع بريك وعبر بها مضيق جبل طارق ولم تكن هذه المعركة متكافئة راح خلالها مقتل أميرال البحرية الجزائرية "الرايس حميدو" في 17جوان 1815م، وأكمل الأسطول الأمريكي طريقه للجزائر ما جعل الداي بعد هذه النكسة يوافق على شروط الصلح وقبول مطالب الولايات المتحدة الامريكية في إعفائها من الاتاوات والتخلص من التزاماتها المالية، وبعد هذا الانتصار كان حافزا ومشجعا للدول الأوروبية في فرض شروطها على الجزائر والتخلص من الضرائب التي تفرضها الجزائر عليها[47]، واستفادت الولايات المتحدة الامريكية من ضعف إيالة الجزائر للحصول على ظروف مماثلة[48] ومن أجل ذلك نصح السيد "باديا" الدوق" ريشوليو" وزير خارجية فرنسا في محاربة القرصنة " أن أوروبا بأسرها إذا ما حاربت إفريقيا يمكن لها أن تنتصر في حالة انتظام صفوفها، ومواجهة العدو صفا واحدا. أمّا إذا واجهت كل دول أوروبا، إفريقيا على فائدة بملايين الأرواح! وإذا انتصرنا، يجب أن تكون لنا قلاع وحصون، ولا فائدة لنا مطلقا بالاستيلاء على البلاد"، وفي أوت 1814م وجه الأميرال "سدناي سميث" نداء إلى دول أوروبا لوضع حد لقرصنة الدول المغاربية بتنظيم حصار حول الجزائر[49].ومن خلال ما تقدم نستخلص ان علاقات الصداقة بين البلدان كانت تربطها المصالح التجارية والحيوية وستضحي هذه الدول بعلاقات الصداقة كلما اقتضت الضرورة لذلك[50].

**رابعا– موقف الدول الأوروبية من العلاقات الفرنسية والجزائرية بعد مؤتمر فينا:**

لا شك أن انعقاد مؤتمر فيينا الذي شاركت فيه الدول الأوروبية لوقف الهيمنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط هو بحد ذاته انتصار للدول الأوروبية التي استطاعت ان توحد صفوفها ومواقفها تحت رؤية واحدة ومصلحة واحدة تقتضي ترك الخلاف والعداء بينها، فكان تغيّر موقف فرنسا بعد عقد مؤتمر فيينا ظرفا حتميا بالنسبة لها بعدما تأكدت من اتفاق وتحالف الدول الأوروبية في هذا المؤتمر ضد الجزائر، وحتى لا تترك مكانها فيما يخص قضية الجزائر ومصالحها فموقفها المؤيد سيضعها أمام فرصة اغتنام فرصة مشروعها المنفرد في احتلال الجزائر، فتمكنت فرنسا من تحويل التحالف الأوروبي إلى صالحها رغم معارضة إنجلترا لذلك لكن فرنسا تمكنت في النهاية من اقناع دول أوروبا بتمثيلها لغزو الجزائر في إيجاد مجموعة من المبررات التي أتاحت لها كسب التعاطف الأوروبي الذي بدوره وجد في ذلك توجيه الأنظار وإبعاد الخطر الفرنسي عن قارة أوروبا.

**أ–موقف فرنسا من التحالف الأوروبي لغزو الجزائر:**

لعل نظرة الدول الأوروبية لظاهرة محاربة القرصنة عموما كانت بالنسبة لهم محاربة في سبيل الوطن والعقيدة المسيحية باعتبار الجزائر عبارة عن مركز من قطاع الطرق ولصوص البحر وجب محاربتهم، وهذا ما جعل الأوروبيين يتكتلون ضد الجزائر بتكثيف حملات بحرية متكررة على الجزائر[51]، نذكر منها على سبيل المثال تلك البعثات البحرية الضخمة للإمبراطورية الإسبانية التي نفذت ضد الجزائر منذ بداية القرن السادس عشر كحملة "دييجو دي فيرا" سنة 1516م وحملة "هوغو دي مونكادا" سنة 1518م وحملة "شارل الخامس"سنة1541م وحملة "فيليب الثالث"سنة"1775م وحملة "دون أنطونيو بارسيلو" سنة 1783م و1784م، وتلك التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1815م والحملة الإنجليزية سنة 1816م، وكل هذه الحملات عبرت كلها من خلال الجزر حيث كان هدفها النفوذ إلى البحر الأبيض المتوسط والسيطرة عليه ومواجهة البحرية الجزائرية[52]، وبالتالي فإن الجزائر لطالما كانت معرضة لمطامع البلدان الأوروبية ومرشحة

للاحتلال لأسباب سياسية واقتصادية مع دول الجوار في البحر الأبيض المتوسط التي اتخذت غطاء الأمن ومحاربة القرصنة والتوقيع على اتفاقية إنهاء العبودية كحجة لتحقيق مطامعها تجاه الجزائر[53] منتهزين فرصة بداية تراجع قوة الدولة العثمانية لتسمى فيما بعد بالرجل المريض مع بداية القرن التاسع عشر[54].

تكاثفت جهود الأوروبيين في أوائل القرن التاسع عشر وتوحدت قواها البحرية على الجزائر لتأمين حرية التنقل في البحر الأبيض المتوسط وحماية مصالحها التجارية[55] بدعوى القضاء على ممارسة القرصنة نهائيا[56]، وهذا ما جعلها تتفق على إضعاف البحرية الجزائرية وتحصيناتها الدفاعية ففي أكتوبر 1815م اتفقت كل من إنجلترا والنمسا وبروسيا بتوجيه ضربة مشتركة ضد الجزائر وهذا ما تم فعلا فقد توجت بحملة اللورد "إكسموث" على الجزائر سنة 1816م[57]، وفي هذا الشأن أرسل وزير الخارجية الفرنسي في 02 أوت 1816م مذكرة إلى قنصله في الجزائر يخبره بإقلاع الأسطول الإنجليزي بقيادة اللورد "إكسموث" بالابتعاد عن المناقشات والحوادث التي يمكن أن تكون الجزائر مسرحا لها في المستقبل[58]،والغريب في الأمر أن الحملة الإنجليزية كان باستطاعتها القضاء على مدينة الجزائر، إلا أن الحملة كانت تهدف للعقاب وليس الاحتلال[59] بل كانت تهدف للحد من نشاط القرصنة والقضاء على تجارة العبيد والتخلص من إلزامية دفع الإتاوات للجزائر والعمل الأوروبي المشترك لتحقيق ذلك، وهذا ما يؤكد أن فكرة القضاء على النظام الجزائري لدى سياسة إنجلترا لم تكن مطروحة حتى لا يتسنى لفرنسا تأسيس مراكز نفوذ لها[60]،ويبدو أن فرنسا كانت منزعجة بانفراد إنجلترا دونها تنفيذا لقرارات مؤتمر فيينا بتوجيه حملة مشتركة بقيادة إنجلترا على الجزائر، ونظرا لما كانت تعيشه فرنسا من ظروف سياسية و اجتماعية واقتصادية لم يساعدها ذلك على القيام بعمل حربي ضد الجزائر فقد كانت تتخوف من أثر هذه الحملة على موقعها ومركزها وإضعاف هيمنتها خاصة وأن ضعف نشاط الأسطول البحري الجزائري يمكّن أعداء فرنسا من الدول الأوروبية التي أصبحت

ضمن النفوذ الإنجليزي على مزاحمتها في البحر الأبيض المتوسط، ولا سيما بعد مؤتمر فيينا أصبحت إنجلترا هي من تمتلك مراكز النفوذ بعد تراجع دور فرنسا وسقوط وهزيمة "نابليون بونابرت" ما ترك الساحة فارغة لإنجلترا في أي عمل حربي في البحر الابيض المتوسط[61]، فاغتنمت فرنسا ذلك من خلال إرسال تعليمات إلى قنصلها في الجزائر "دوفال" لاستغلال الفرصة واستعادة امتيازاتها التجارية[62]، وفي هذا الشأن نجد رسالة "ريشيليو" إلى القنصل "دوفال" بالأعمال لدى الجزائر حول الحياد وعدم التدخل في الحملة الإنجليزية على الجزائر[63].

وبعد تحسس الجزائر لنوايا الدول الأوروبية في مهاجمتها فإن الداي "عمر باشا" أرسل برسالة إلى السلطان العثماني بتاريخ 05 رجب 1231هـ الموافق ل 1جوان 1816م جاء فيها" لقد علم أوجاقنا من مالطة أن الدولة المسيحية قد تحالفت على إنشاء أسطول مشترك بينها وقوة مدفعية لمحاربتنا ومن الواضح أنهم يضمرون لنا النوايا السيئة تجاهنا"[64] ، وأما بخصوص موقف الدولة العثمانية من الاتفاق الأوروبي فإن الدولة العثمانية ممثلة في السلطان "محمود الثاني"( 1807-1839م) رحبت بمعاهدة فيينا بين إنجلترا وبروسيا والنمسا الخاصة بوقف عمليات الأسر وتجارة الرق بالدولة العثمانية و المقاطعات التابعة لها، إلا الجزائر رفضت مقترحات السلطان العثماني وأوامره كما رفضت الاتفاق الذي توصل إليه مندوب إنجلترا مع السلطان العثماني، وبسبب تصرف القنصل الإنجليزي مع وكيل الخرج هذا الأخير الذي لطمه فسبّب في ذلك أزمة سياسية كانت عواقبها في النهاية إرسال الحملة الإنجليزية إلى الجزائر في 26 أوت 1816م[65]، وبالتالي فإن فرنسا استغلت تحالف الدول الأوروبية في مؤتمر إكس لاشابيل لتدعيم موقعها في منطقة البحر الابيض المتوسط ونفوذها في الجزائر وتحويل هذا التحالف لحسابها الخاص سياسيا واقتصاديا، كما تم تكليف كل من فرنسا وإنجلترا بتنفيذ قرارات المؤتمر المتمثلة في وضع حد للقرصنة البحرية ووقف العمليات العسكرية البحرية[66]، ورغم هذا التحالف ضد

الجزائر والمؤامرات والدسائس الأوروبية لإضعاف الجزائر إلا أن الأوروبيين عند عجزهم عن تحقيق ذلك نجدهم يسعون في المقابل للتفاوض مع الجزائر وعقد مفاوضات معها ويتوددون في طلب معونات وقروض ويطلبون مساعدتها ضد العدو[67]، وهذا ما يفسّر أن العلاقات الأوروبية مع الجزائر كانت تندرج ضمن معادلة تغيير موازين القوى وتصفية الحسابات، وهذا ما كتبه "إروين" الأمريكي " الآن حان وقت تصفية الحساب بين أمريكا والجزائر لصالح أمريكا سنة 1815م"[68].

رغم حرص الإنجليز والدول الأوروبية على مدار ثلاثة قرون من إلحاق الضرر بالبحرية الجزائرية، إلا أن الجزائر واجهت كل هذه الأخطار ولم تستطع كل من إسبانيا وإنجلترا وفرنسا ودول شمال أوروبا النيل منها[69]، إلا أنه ابتداءً من سنة 1825م أصبحت الجزائر فريسة سهلة على الصعيد العسكري جراء الحملات العسكرية الأوروبية المتكررة وتعرض الأسطول البحري الجزائري لخسائر فادحة[70]، وأدّت هذه الهجومات المتكررة إلى حرص حكام الجزائر خلال الفترة العثمانية للعمل على تحصين المدينة وتقوية قدراتها الدفاعية وتعزيز الأسطول البحري لمواجهة الأخطار القادمة من البحر والمزيد من صنع سفن أو تكثيف نشاط العمليات في البحر الابيض المتوسط[71]، إلا أن الأسطول الجزائري تعرض مرة أخرى لنكسة أخرى في معركة نافرين سنة 1827م ما جعل فرنسا تستغل هذه الفرصة لتنفيذ مخططها في غزو الجزائر[72].

**ب – مواقف الدول الأوروبية من الغزو الفرنسي للجزائر:**

بقيت إنجلترا متمسكة حتى في عهد "نابليون بونابرت" بموقفها كعادتها وظلت ترفض مساعدة فرنسا في أي غزو يخص الجزائر[73]، ولطالما كانت إنجلترا متخوفة من إعدادات فرنسا لاحتلال الجزائر بما يهدد مصالحها التجارية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وبالتالي فإن كل الأسرار التي أخفاها "بولينياك"[74] في لندن سنة 1828م كونه أعلن عن ترسيخ المبدأ العام القائل أن ممتلكات أوروبا في الخارج لا تغير من موازين القوى العظمى،

ولقد قال "بولينياك":" كان هدفنا وبكل إخلاص إنسانيا كما أردنا، فضلا عن انتقامنا للإهانة التي لحقت بنا، القضاء على عبودية المسيحيين والقرصنة وكذا على الإتاوات المهينة التي تدفعها الدول الأوروبية للإيالة"[75]، وبهذا فإن التنافس بين إنجلترا وفرنسا قد اشتد هذا لأن إنجلترا كانت تعلم أن الأمر ليس متعلق باستعراض بسيط بقدر ما هو حملة عسكرية واسعة النطاق وذات أفاق استقرار[76]، وهذا ما يبرهن العداء التقليدي بين فرنسا وإنجلترا حول مناطق النفوذ منذ عهد الكشوفات الجغرافية على غرار الدول الأوروبية التي أيدت فرنسا في غزو الجزائر، كما أن إنجلترا دائما لم تكن تريد أن تقضي على القرصنة البحرية نهائيا بل اكتفت بحملات تأديبية ضد داي الجزائر ومراقبة نشاط فرنسا في مفاوضاتها مع الجزائر، ولا سيما في إجهاض مشروع "محمد علي باشا" وضغطها على الباب العالي لوقف مشروع فرنسا مع "محمد علي باشا" لغزو الجزائر[77]، ففي لقاء للقنصل الإنجليزي " سان جون" بالسيد "دانيلي" قنصل سردينيا بالجزائر الذي تولى مهام قنصل فرنسا بعد رحيل القنصل "دوفال" على إثر حادثة المروحة، حيث نبهه بأن إنجلترا والدول الأوروبية لن تسمح لفرنسا بأن تقوم بحملة على الجزائر لأن ذلك يتنافى والاتفاقيات المبرمة بين الدول، ونظرا للعلاقات الودية التي كانت بين الداي والقنصل الإنجليزي "سان جون" هذا الأخير كان كثيرا ما يطلع الداي عما يحاك ضد الجزائر من قبل فرنسا وأن إنجلترا ستقف مع الجزائر[78]،كما اتخذت إنجلترا معارضتها من هذا الغزو موقفها بحجة أن إيالة الجزائر من أملاك الباب العالي، إذ كتب القنصل الإنجليزي بباريس في 03جوان 1830م إلى وزير الشؤون الخارجية بحق الباب العالي في الجزائر وقد كان هذا التدخل ليس حبا في الدولة العثمانية وإنما للحد من أطماع فرنسا في إفريقيا[79]،وحاول القنصل الإنجليزي "أبردين" إقناع السلطان العثماني لإلغاء كل ذريعة للتدخل الفرنسي وضرورة فرض موقفها على الداي للتفاوض مع فرنسا[80]، ولاشك أن فرنسا أقحمت في مشروعها لاحتلال الجزائر نفوذها في كل من إيالة طرابلس وتونس

وهذا ما أثار مخاوف إنجلترا فقد طلب اللورد" أبردين" من الدوق "دولافال" أن لا تمدّ فرنسا عملها التوسعي في هذه الإيالتين[81]،إلا أن فرنسا استطاعت أن تحشد التأييد الأوروبي مستغلة توظيف الصبغة المسيحية لدى الدول الأوروبية والتخلص من المضايقات الإنجليزية بإقناعها بضرورة نجاح الحملة على الجزائر لصالح أوروبا كلها[82].

عارضت إنجلترا مشروع الحملة الفرنسية على الجزائر وكان موقفها واضحا بحيث حاولت أن تحصل من فرنسا على تعهد كتابي يضمن بأن فرنسا ليس لديها نية احتلال الجزائر عسكريا[83]، إلا أنه بعد نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر سنجد أن إنجلترا ستغير من موقفها وتعترف بحكم " لويس فيليب " سنة 1830م بعد سقوط حكومة "شارل العاشر" وتساند فرنسا في احتلالها للجزائر[84]، أما الدول الأخرى كروسيا وبروسيا والنمسا فكان موقفها محايدا ولم تعارض الاتجاه الفرنسي، ونظرا لهذه المواقف الدولية خففت إنجلترا من حدة معارضتها لفرنسا، وإن حرصت في كل مناسبة على التصريح بحقوق الباب العالي في الجزائر وأن الحملة الفرنسية على الجزائر ماهي إلا احتلال عسكري يجب أن يتوقف[85]، ومع ذلك فإن إنجلترا لم تكن مقتنعة تماما بأن الفرنسيين سيربحون المعركة ويهزمون الجزائريين لأنها لم تكن تريد أصلا من فرنسا أن تتموقع في مناطق النفوذ بين مالطة وجبل طارق[86]، وهذا ما جاء في تصريح رئيس وزرائها الدوق " ويلنجتون" لبعض وزرائه قائلا:"... دعوهم يقوموا بالحملة إنهم سيلاقون كارثة، إني أنا الدوق ولنجتون أؤكد لكم ذلك..." [87]، ولهذا فإن الملك الإنجليزي "وليام الرابع عشر" لم يكن يريد الدخول في صراع مع فرنسا يراها الشعب الإنجليزي غير مبرر لها ،كما أن إنجلترا كانت ترى أن البرلمان الفرنسي سيرفض مشروع غزو الجزائر[88]، ولهذا ردّ الملك الفرنسي على أراء الحكومة الإنجليزية في مجالس الحكومات الأوروبية "نحن لا نتدخل بشؤون إنجلترا وعليها أن لا تتدخل بشؤوننا"[89]، ومع هذا فإن فرنسا حاولت كسب تأييد الدول الأوروبية

بتذرعها محاربة القرصنة في مياه البحر الأبيض المتوسط وإطلاق سراح الأسرى الأوروبيين والكف عن فرض الإتاوات على الدول الأوروبية[90].

لعبت فرنسا في إقناع الدول الأوروبية خاصة النمسا وإنجلترا وروسيا بفكرة إشراك "محمد علي باشا" في حملة فرنسا على الجزائر ولا سيما أن هذه الدول كانت ترفض هذه الفكرة، لذلك حاول "بولينياك" استمالة الدول الأوروبية موضحا لهم هدف الحملة في تأديب الداي وإجباره عن الكف من أعمال القرصنة وتجارة العبيد الأوروبيين ووقف دفع الضرائب والإتاوات المجحفة[91]، ولكي يقنع "بولينياك" الدول الأوروبية بضرورة التخلص من المشكلة الجزائرية فإنه اهتدى إلى فكرة تقسيم البلاد الجزائرية من الشرق إلى الغرب بين دول البحر فتستعمر النمسا مدينة عنابة وتتولى سردينيا مدينة سطورة (سكيكدة) وتوسكانيا وتستحوذ على مدينة جيجل وتستأثر حكومة نابل بمدينة بجاية وتنفرد فرنسا بمدينة الجزائر وتستقل البرتغال بمدينة تنس وتستحوذ إنجلترا على مدينة أرزيو وتصفي إسبانيا حساباتها مع مدينة وهران[92]، وكانت تهدف فرنسا من خلال هذه الاستراتيجية التأكّد أولا من مساهمة وتعاطف الممالك الأوروبية لتكون عملية غزو الجزائر حملة مدعمة من كل الأطراف وحقيقية ضد الجزائر[93]، ولعلّ موقف النمسا وروسيا كان يصب في مصلحتهما أولا قبل قبول عرض فرنسا، فالنمسا كان موقفها في البداية معارضا للحكومة الفرنسية ومشروعها مع "محمد علي باشا"[94]وهذا ما جاء في تصريح مستشار النمسا "ميترنيخ" على إثر الاحتلال:" ليس حادثة المروحة هو الذي تنفق من أجله مائة مليون ويضحي فيه بأربعين ألف رجل"[95]، إلا أنه بعد فشل المشروع فقد غيرّت النمسا موقفها وساندت فرنسا في تأييد غزو الجزائر وذلك بهدف تحويل أنظار فرنسا عن توسعاتها في المناطق الأوروبية لأن النمسا من مصلحتها بقاء أوضاع أوروبا على حالها، وبعد أحداث ثورة جويلية 1830م في فرنسا تخوفت النمسا من مصالحها فشكلت تحالفا دفاعيا مع روسيا وبروسيا، كما طالبت الباب العالي بالتريث في مطالبته لفرنسا باسترجاع الجزائر

ريثما تهدأ الأمور ويعرف نوايا الحكومة الفرنسية الجديدة[96]، ونفس الموقف بالنسبة لروسيا فقد عارضت هي الأخرى مشروع "محمد علي باشا" وأيدت فرنسا لما تبنت مسؤولية الغزو بنفسها وكان الهدف من ذلك هو إخلاء لها الجو في مناطق الأناضول بعيدا عن خطر الثورة الفرنسية، ففي 13 ماي 1830م كتب القنصل الروسي الكونت "بوزودي بورغو" إلى القائد العام قائلا :" إن الإمبراطور يتمنى أن يقبل ضابط متطوع تابع لوحدة الهندسة العسكرية ليشارك في الحملة وهو العقيد فيلوزوف"[97]، ويبدو أن موقف روسيا جاء لأهداف سياسية كأن تشجع فرنسا على تحول اهتمامها إلى ميدان غير ميدان الشرق الأوروبي لأنها كانت تتمنى ازدياد ضعف الدولة العثمانية كي يتسنى لها التوسع بأقل جهد وخسائر في هذه المناطق ودون منافس[98] كما أعلنت الحكومة الروسية "أنها ستنظر بسرور إلى ما تقوم به فرنسا في الجزائر بحيث تؤمن إلى الأبد سلامة الملاحة في المتوسط"[99]،كما طلبت من الباب العالي نفس طلب النمسا عند قيام ثورة جويلية 1830م في فرنسا تخوفا من الحكومة الجديدة الفرنسية بالتريث في مطالبة استرجاع الجزائر تخوفا من تغيير موقف الحكومة الفرنسية الجديدة موقفها من فكرة الاحتلال[100]، وتشير الوثائق التاريخية أن إنجلترا والنمسا شجعتا الملك "شارل العاشر" على غزو الجزائر لأن ذلك سيساعد صديقهم الملك الفرنسي في المحافظة على عرشه والبقاء في الحكم أطول[101].

وفي 12 مارس 1830م أرسلت فرنسا مذكرة للحكومات الأوروبية تخبرها بالقرار التي اتخذته بشأن الجزائر مبررة دوافع حملتها ضد الجزائر" أن الداي قد ضرب وهدم مؤسساتنا على السواحل الإفريقية وتخريبها على السواحل الإفريقية وخربها تخريبا تاما وأن الحصار الذي فرض من ثلاث سنوات لم يزده إلا إمعانا في الغطرسة فبدل من الترضيات التي كان عليه أن يقدمها لنا فإنه تحدث سوى عن المطالب والادعاءات التي ينوي أن يطالب بها فرنسا وأخيرا فإنه لم يرد على المقترحات السلمية التي حملها إليه مندوبي الدول البحرية

حتى إلى قصره بغير الرفض القاطع وعندما بدأت السفينة البرلمانية تستعد للإبحار والخروج من الميناء إنهال عليها وابل من القذائف التي انطلقت على إثر إشارة أعطيت من القصر الذي يقطن فيه رئيس الإيالة"[102]، وما كان من الدول الأوروبية إلا أن تتخذ نفس الموقف في تدعيم الحملة الفرنسية على الجزائر وعلى رأسها إسبانيا التي قامت بإرسال ضباط إسبان لمساعدة فرنسا في حملتها ومنهم العقيد "دون أنطونيو لاسكان" وحتى تم تخصيص مستشفى لمرضى الجيش الفرنسي[103]، ولعلّ مساندة إسبانيا لفرنسا في مشروعها لاحتلال الجزائر كان بداعي الحنين إلى الماضي وطموحها باسترجاع مستعمراتها في الغرب الجزائري[104]، كما شجع ملك سردينيا "شارل فيليكس" الحملة الفرنسية على الجزائر ليتخلص من الجزية التي يدفعها إلى الداي والإهانات التي يتعرض لها رعاياه التجار وقد طلب نصيبه من الغنيمة مقابل إعانة يقدمها إلى الحملة، أما حكومة البدمونت فقد لعب قنصلها دورا خطيرا في تزويد فرنسا بالمعلومات حول الجزائر، وكذلك فعل ملك نابولي الذي رخص لتجار بلاده أن يقوموا بتأجير قواربهم للجيش الفرنسي، وكذلك بروسيا فقد وافق ملكها "فريديريك الثالث" على مشروع الحملة وذلك للفت نظر فرنسا عن منطقة الراين وبلجيكا، ونفس المواقف اتخذتها بلدان أوروبا الشمالية إضافة للجمهوريات الإيطالية التي رحبت بتهنئة فرنسا على المشروع وخدمة المسيحية[105]، والملاحظ أن الدول الأوروبية لم توضح موقفها ما إن نجحت الحملة وقررت فرنسا البقاء في الجزائر والاحتفاظ بها[106]، ويبدو أن موقف الدول الأوروبية وبمباركة البابا "بيوس الثامن" في تأييد غزو فرنسا للجزائر لم يكن عبثا بل كان له هدف مسطر وهو شغل قوى فرنسا البحرية وتوزيع جهودها الحربية وضمان السلام والأمن بعيدا عن النشاط الحربي لفرنسا في القارة الأوروبية وإعلان حرب صليبية ضد المسلمين[107]،كما أن موقف الدول الأوروبية تجاه الحملة الفرنسية على الجزائر وتأييدها له عزّز الشعور القومي لدى هذه الدول التي تجاوزت كل خلافاتها وأظهرت تضامنها ومؤازرتها لفرنسا لما تعلق الأمر بغزو الجزائر[108] .

**خاتمة:**

كخلاصة لما تمت دراسته يمكننا القول بأن الجزائر مع مطلع القرن التاسع عشر تعرضت إلى مؤامرة أوروبية من خلال مؤتمر فيينا الذي مكّن فرنسا من الحصول على تأييد أوروبي لغزو الجزائر واحتلالها رغم معارضة بعض الدول الأوروبية لها في البداية على رأسها إنجلترا وخوفا على مصالحها في المنطقة، إلا أن المصلحة المشتركة بين الدول الأوروبية للقضاء على الهيمنة البحرية للجزائر في البحر الأبيض المتوسط تغلبت على تعارض وتباين مصالح كل دولة ورضخ الجميع للأمر الواقع أمام فرنسا التي استطاعت أن تملأ الفراغ الذي أحدثه تضارب المصالح بين الدول الأوروبية وارتباط أسهم علاقة مصالحها مع الجزائر مقارنة مع الدول الأوروبية الأخرى في علاقاتها مع الجزائر، ويعتبر مؤتمر فيينا من أهم المؤتمرات الذي نظر للفكر الاستعماري الأوروبي في شمال إفريقيا وبتأييد أوروبي استطاعت فرنسا أن تضع أول مشروعها الاستعماري في الجزائر فقبل ذلك لم تكن الدول الأوروبية لترضى على أن تحصل فرنسا على مناطق نفوذ لها في منطقة البحر الأبيض المتوسط بسبب العداء التقليدي بينها وبين إنجلترا الذي ساهم في التأثير على العلاقات الدولية بدخول الولايات المتحدة الامريكية والدول الأوروبية غمار التنافس حول مناطق النفوذ.

ويبدو أن فرنسا عرفت كيف تتعامل في سياستها ومواقفها المتغيرة مع مواقف الدول الأوروبية وفي مسايرة علاقاتها مع الجزائر حسب الظروف المناسبة وتوازنات القوى الدولية لتغتنم فرصة تجسيد مشروعها الاستعماري في شمال افريقيا، لا سيما أن قوة الجزائر البحرية بدأت تتراجع بسبب كثرة مشاركة الاسطول البحري الجزائري في حروبه مع الدول الأوروبية خاصة مع مطلع القرن التاسع عشر كان هذا كافيا أن يُدخل الجزائر تحت مؤامرة أوروبية انفردت بها فرنسا في احتلالها للجزائر مفتعلة في ذلك مبررات ساعدتها على ذلك.

## الهوامش:

[1] عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1665، ص161.

[2] العربي إيشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، ترجمة جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص78.

[3] الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق يحي بوعزيز، ج2، ط1، درا الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص70.

[4] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص22.

[5] العربي إيشبودان المرجع السابق، ص78.

[6] عبد الله شريط، محمد الميلي، المرجع السابق، ص161.

[7] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007، ص19.

[8] جون.ب وولف، الجزائر وأروبا 1500–1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر،2009،ص363.

[9] المرجع نفسه، ص ص415،416

[10] محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص23.

[11] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619–1830، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر،2007، ص 189.

[12] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007، ص ص189،190.

[13] المرجع نفسه، ص190.

[14] جون.ب وولف، المرجع السابق، ص429.

[15] أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519–1830، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر،2016، ص77.

[16] المرجع نفسه، ص ص79،80.

[17] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر،1964، ص 224.

[18] المرجع نفسه، ص ص230،231.

[19] وليم سبنسر، الجزائر في عهد "رياس" البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006، ص ص184،185.

[20] Abla Gheziel, La politique des deys d'Alger à la veille de la conquête française (1730-1830), Al-Mawaqif (Revue des études et des recherches sur la société et l'histoire), 2011, p07.

[21] علي تابليت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776–1830م، ج1، منشورات ثالة، الجزائر، 2013، ص ص36،37.

[22] كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982، ص ص198،199.

[23] علي تابليت، المرجع السابق، ص157.

[24] كاثكارت، المصدر السابق، ص199.

[25] المصدر نفسه، ص199.

[26] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، المرجع السابق، ص 340.

[27] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، المرجع السابق، ص181.

[28] جون.ب وولف، المرجع السابق، ص ص402،403.

[29] عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1409هـ-1989، ص568.

[30] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص82،83.

[31] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص ص248،249.

[32] محمد أمين، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبعة آنفو برانت، فاس، المغرب،2011، ص ص135،136.

[33] المرجع نفسه، ص154.

[34] المهدي بوعبدلي، موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور، مجلة الأصالة، قسنطينة، الجزائر، العدد 14-15، ربيع2- جمادى1- جمادى2-رجب 1393هـ/ ماي-جوان- جويلية 1973، ص134.

[35] كريمة بوقزاطة، أثر الميناء في نشأة وتطور عمران مدينة الجزائر، أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، قاعة المؤتمرات العامة، جامعة الجزائر 02، 07-08 ديسمبر 2009، الجزائر، ص164

[36] علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص162،163.

[37] حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2007، ص10.

[38] سدناي سميث أميرال إنجليزي ولد سنة 1764م كلفه الأميرال هودجينا عندما كان محتلا لمدينة طولون بحرق الدونانمة الفرنسية فحرقها في سنة 1739م، ثم أخذ أسيرا في فرنسا وبقي بها سنتين مسجونا بسجن التانبل بباريس، ثم هرب فساعد على الدفاع عن مدينة عكا وعين أميرالا سنة 1821م وتوفي سنة1841م. ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، لبنان،1401هـ/1981، ص375.

[39] زكية زهرة، الأميرال سدناي سميث (Sidney Smith) والتحالف الأوروبي- المسيحي ضد الجزائر 1814، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، العدد 15 و16، 2012-2013، ص223،224.

[40] المرجع نفسه، ص226.

[41] المرجع نفسه، ص229.

[42] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، المرجع السابق، ص 220.

[43] المرجع نفسه، ص 220.

[44] فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداي حسين1818–1830م، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر،2016، ص30.

[45] سيدهم فاطمة الزهراء، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر،2016، ص ص91،92.

[46] فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص30.

[47] عطية محمد، محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815–1817 ومواقفه منها، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 13، 20 جوان2017، ص ص313،314.

[48] H. D. de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux, Éditeur28, Rue Bonaparte, paris,1887, p380.

[49] عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (تونس، الجزائر، ليبيا) من 1816إلى 1871م، تقديم روبان منتران، ط1، الدار التونسية للنشر، مارس 1972، ص ص234،235.

[50] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص84.

[51] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص10.

[52] Ahmed Abi Ayad, Document Un témoignage espagnol sur la prise d'Alger par les Français en 1830, Revue Algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, Oran – Algérie, Insaniyat n°s 19-20, Janvier– Juin 2003, p199.

[53] العربي إيشبودان، المرجع السابق، ص96.

[54] Ahmed Abi Ayad, op.cit, p199.

[55] أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعية التونسية، تونس، 1970، ص ص28،29.

[56] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر– المدية– مليانة في موسمها الألفي 330–1370هـ/970هـ–1971م، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص26.

[57] أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص ص28،29.

[58] محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791–1830، مطبعة دحلب، الجزائر،1994، ص67.

[59] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص194.

[60] حميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827–1840)، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،1987، ص32.

[61] المرجع نفسه، ص ص33،34.

[62] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص90،91.

[63] المرجع نفسه، ص ص99،100.

[64] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص26.

[65] علي خلاّصي، قصبة مدينة الجزائر، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007، ص ص19،20.

[66] فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، شركة درا الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2004، ص129.

[67] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، المرجع السابق، ص223.

[68] المرجع نفسه، ص228.

[69] عطية محمد، المرجع السابق، ص310.

[70] العربي إيشبودان، المرجع السابق، ص115.

[71] كريمة بوقزاطة، المرجع السابق، ص164.

[72] العربي إيشبودان، المرجع السابق، ص115.

[73] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، المرجع السابق، ص30.

[74] جول بولينياك واسمه الكامل August – jules Armand – marie polignac(14 ماي1780–02 مارس1847م) ولد في باريس، نفي قبل الثورة الفرنسية إلى إنجلترا ولدى عودته ألقي عليه القبض بتهمة التآمر ضد نابليون، فأودع السجن من 1804 إلى 1813م، وفي عام 1829م عينه "شارل العاشر" وزيرا للخارجية ورئيس الوزراء وكان مسؤولا عن المراسيم الصارمة التي تسببت في ثورة جويلية1830م فسجن مجددا من 1830 إلى 1836م ثم نفي للمزيد ينظر:

The Editors of Encyclopoedia Britannica, Jules- Armand– marie polignac, French Statesman Encyclopoedia last Updated 02/11/2014.

[75] ع. بن أشنهو، الدولة الجزائرية في: 1830م مؤسساتها في عهد الأمير، ترجمة لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر،2013، ص ص55،56.

[76] المرجع نفسه، ص56.

[77] احميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، شركة دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر،2004، ص ص22،23.

[78] فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص169.

[79] حميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827–1840)، المرجع السابق، ص46.

[80] أحمد محمد عشوراكس، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الإستعمار الفرنسي الإستيطاني 1500–1962م، ط1، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009، ص127.

[81] محمد زروال، المرجع السابق، ص135.

[82] احميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص23.

[83] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، 1977، القاهرة، مصر، ص260.

[84] فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص170.

[85] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص ص260،261.

[86] عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص ص337،338.

[87] محمد زروال، المرجع السابق، ص،133.

[88] المرجع نفسه، ص134.

[89] عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص638.

[90] القومندان جورج داون، مشروع حملة محمد علي على الجزائر (1829-1830) (وثائق وزارة الخارجية الفرنسية)، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر،2010، ص ص18،19.

[91] المرجع نفسه، ص30.

[92] محمد زروال، المرجع السابق، ص ص123،124.

[93] العربي إيشبودان، المرجع السابق، ص115.

[94] محمد علي ولد في مدينة قولة من بلاد مقدونيا سنة1769 توفي والده وهو صغير فرباه عمه حتى كبر فاشتغل في تجارة الدخان، ثم انتقل مع جنود الدولة العثمانية الذين أتو لمحاربة الفرنسيين تم تعيينه كقائد فرقة ن فاستطاع أن يكسب ثقة الأهالي والسلطان العثماني ليعين واليا على مصر ويحقق أهدافه وطموحاته بمختلف أساليب الدهاء حتى صار أقوى من السلطان نفسه، توفي بالقاهرة في 2 أوت 1839م.ينظر: عياض بن خزام الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية1247-1255هـ/1831-1839م، مركز بحوث الدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة، السعودية، 1993، ص15.

[95] محمد زروال، المرجع السابق، ص126.

[96] احميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص ص24،25.

[97] المرجع نفسه، ص26.

[98] حميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)، المرجع السابق، ص44.

[99] أحمد محمد عشوراكس، المرجع السابق، ص127.

[100] احميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص26.

[101] محمد زروال، المرجع السابق، ص118.

[102] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار الجزائر،1994، ص ص80،81.

[103] احميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص ص26،27.

[104] فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص172.

[105] محمد زروال، المرجع السابق، ص ص124،125.

[106] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص85.

[107] أحمد محمد عشوراكس، المرجع السابق، ص ص125،126.

[108] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص170.